Mesopotamian journal of Humanities
Vol.2021, **pp**. 7–12
DOI: https://doi.org/10.58496/MJALS/2021/002; ISSN: xxxx
https://mesopotamian.press/journals/index.php/MJALS

نظرية التأثير والتأثر في الدراسات الأدبية: تطبيقات ونقد

The Theory of Influence and Interference in Literary Studies: Applications and Critique

احمد شاكر محمود [١،*]، عبد الرحمن خلف مطلب [١]، محمد عبد الرحمن محمود [١]
[١] كلية الامام الأعظم الجامعة, العراق , بغداد

Ahmed Shakir Mahmoud[1,*], Abdulrahman Khalef Matlub[1] , Mohammed Abdulrahman Mahmoud[1]
[1] *Imam Alaadhm university college*

الخلاصة

يتناول هذا البحث دور الأدب المقارن في العالم العربي وتأثير النظرية الأدبية الفرنسية عليه. يشدد المقال على أهمية التوثيق النقدي والعلمي في تطبيق نظرية التأثير والتداخل في الدراسات الأدبية العربية. كما يؤكد على ضرورة الحذر من اعتماد المناهج الأدبية الأجنبية بشكل أعمى، والتي لا تعكس السياق الثقافي والهوية العربية. ويدعو المقال إلى معالجة متوازنة تأخذ في الاعتبار كلًا من السياق التاريخي ومبادئ التأثير والتداخل في الدراسات الأدبية، مع التركيز على الانتشار العالمي والتوضيح للمحتوى الأدبي والنقدي العربي.

ABSTRACT

This article discusses the role of comparative literature in the Arab world and the influence of French literary theory on it. The article emphasizes the importance of critical and scientific documentation in the application of the theory of influence and intertextuality in Arab literary studies. It also argues against blindly adopting foreign literary methodologies that do not reflect the cultural context and identity of the Arab world. The article calls for a balanced approach that takes into account both the historical context and principles of influence and intertextuality in literary studies, while focusing on the global dissemination and clarification of Arab literary and critical content.

Keywords

الكلمات المفتاحية

Comparative Literature ,French Literary Theory, Intertextuality, Arab Literary Studies, Cultural Context

Received	Accepted	Published online
استلام البحث	**قبول النشر**	**النشر الالكتروني**
18/1/2020	29/2/2020	4/3/2020

١. مقدمة

نتج المنهج التطبيقي عن الأسس الفكرية والذي يعد أهم ما توصلت إليه الدراسات والجهود النظرية. وكما نعلم فمن الصعب جدا توضيح عدد المناهج الكبرى المهمة ضمن الأدب المقارن، ولكن عبر التعرف على الاتجاهات الخاصة بكل منهج يمكن توضيح معالم كل منها . ونحاول أثناء ذلك معرفة كل تفصيل مهما كان صغيرا خصوصا عبر وضع أسس منهج مقارنة تطبيقية عربية. ومن منطلق شمولية مصطلح الأدب المقارن واندراج العديد من الدراسات الأدبية المتعارضة والمتباينة تحت رايته بل حتى الدراسات المتضاربة في منطلقاتها واتجاهاتها والمناهج التي تتبعها، إضافة إلى ممارساتها وطموحاتها. أما فيما يخص الوحدة التي يوحي إليها استخدام مصطلح الأدب المقارن" فهي غير موجودة إلا في أدنى الحدود[1]. إذ غالبا ما تحيط تجاذبات عديدة بهوية الأدب المقارن المعاصرن تتراوح ما بين تجديد جزئي للمنهج ومشاريع كبرى متعلقة بالهوية وتستند لأساس فكري ومن أمثلتها المقارنة العربية، يجد أحد العلماء من هذا المنطلق أن اتساع ميدان الأدب المقارن بمثل هذه الصورة، سيضيع عليه فرصة أن يكون أكثر دقة ومنهجية، حيث ستكون أحكامه وفقا لهذه الرؤية المتسعة نسبية أبعد عن الدقة والمنهجية، وبهذا تضيع فرصة التوصل إلى حقائق أدبية مستجدة مستوحاة من طبيعة هذا التخصص". وعلى العكس قد يؤدي دخول التحديثات إليه وتطوره إلى تصريح أحد الباحثين العرب في مجال المقارنة بما يلي: ليس للأدب المقارن منهجية خاصة محصورة به ولا حاجة به لذلك أصلا، والقوانين الأساسية التي تحكم العمل الأدبي مثل جمع البيانات ونخلها وتفسيرها هي نفسها تنطبق هنا وتنطبق في كل مكان[2]

---

[1] عبده عبود ، الأدب المقارن والاتجاهات النقدية الحديثة ، مجلة عالم الفكر ، مج ٢٨، ع١ ، ١٩٩٩ ،
[2] حسام الخطيب، أفاق الأدب المقارن عربية وعالمية، دار الفكر المعاصر ، ١٩٩٢ ، ص ٦٨.

١. الأسس المنهجية للمدرسة الفرنسية

نظرا لمنهجها التتبعي التاريخي وبيان صلاتها من خلال تأثرها وتأثيرها في مجال الاختلاف اللغوي للمناهج الأدبية خصوصا، أصبحت المدرس الفرنسية في الصدارة من ناحية الانتشار والشهرة، ويقول غويار: إن الأدب المقارن هو تاريخ العلاقات الأدبية الدولية. من هنا فإن الباحث يتوقف عند الحدود اللغوية أو الوطنية ويراقب تبادل المواضيع والأفكار والكتب والمشاعر بين أدبين وأكثر[1] ، استنادا إلى الأساس الفكري المتعلق بتأكيد الهوية القومية[2] . كما اهتمت المدرسة الفرنسية عبر دراسة التأثير اهتماما عظيما بعلاقة الدراسة التجريبية المتفحصة والتشابه في ضمن الصلات الواقعية بين الأمم المتنوعة. إذ إن غايتها هي البحث عن التشابه بين أدبين أو ثلاثة من خلال دراسة مسلك الانتقال (Passing Route)[3]. ونتج عن دراسة التأثير ظهور تنوع منهجي وموضوعي وفكري غني جدا، بالتالي أرست المدرسة الفرنسية أمس" راسخة لتكوين الأدب المقارن وتنميته بحزمة من النظريات والمناهج والطرق.[4]

نتج عن تطبيق مسار التأثير والتأثر ملامح منهجية فرنسية جديدة، واحتلت اهتماما واسعا لينتج عنها نهاية مدرسة فرنسية رائدة ومتفقة مع الأدب المقارن، وعليه، لا تكون الدراسة من وجهة نظرنا مقارنة بالمعنى الذي يعنيه هذا المصطلح في ميدان الأدب المقارن، إذا لم تقم على العلاقات وما ينشأ عنها من تأثير وتأثر بين الآداب القومية المختلفة[5] الأمر الذي أدى بالكثير من المقارنين العرب إلى تقليديه نتيجة لريادته الواسعة، بعد أن تأسس الأدب المقارن عند العرب في منتصف القرن العشرين، سار في الغالب على وفق رؤية منهجية واحدة هي رؤية الاتجاه التاريخي، الذي ارتكز على التأثير والتأثر بالأساس[6]. ويوجد تفسيرات عديدة خلف هذا التفضيل والتي يأتي في مقدمتها أقدمية هذا المنهج وأسبقيته، إضافة إلى قربه من بيان أثر الأدب العربي القومي من خلال مساره التحليلي، الأمر الذي يحقق تطلعات المهتمين بإظهار خدمة العرب لغيرهم وفضلهم عليهم فيما يخص المسار التاريخي. وفي هذا الأمر، يقول أحد المقارنين: "إن مثل هذه المقارنات ربما تكون مهمة ومفيدة لكنها لا تدخل باب الأدب المقارن لافتقادها الصلة التاريخية[7]

من ناحية ثانية، نتج عن هذا الانحياز للمدرسة الفرنسية ردود أفعال أخرى من العرب ولكن باستخدام نفس الأدوات التاريخية يتضح أنه إذا ما تذكر المرء الحضور الواسع للشرق ولا سيما الشرق العربي في الآداب الأوروبية قديمها ووسيطها وحديثها فإنه لا يسعه إلا أن يستغرب هذا التمركز المسرف حول الذات الذي أخذت المدرسة الفرنسية به نفسها[8]

وقد نلاحظ كثرة الآراء المؤيدة لهذا المنهج ومحاولاتها لتأقلمه عربيا أو على الأقل تخفيف شدة التصريحات حول ضرورة اتباعه والالتزام بمساره دون الخروج عنه إن إجراء دراسات وبحوث مقارنية على أسس نظرية التأثير والتأثر يظل عملا علمية مشروعة تماما ... وأكثر من ذلك، فإن نظرية التأثير والتأثر تحدد مسوغات قوية لتطبيقها في الدراسات الأدبية بالوطن العربي... ولكن هذا لا يعني أبدأ التعصب لهذه النظرية أو تلك[9]. ومما لا شك فيه استمالة التوجه العربي القومي لمختلف المناهج الهادفة بشكل أساسي إلى هوية قومية مع الانتباه لوجود جانب ذوقي نقدي، مع ذلك لا يمكن لنفس الباحث وضع مجالات الاتجاه المشابه للمنهج الفرنسي والمقلد له لا الحتمية منها ولا النهائية "إن العمل التوثيقي في نظرية التأثير والتأثر مطلوب علمية ،ومنهجية، ولكنه لا يكون نهاية المقارنة إطلاقا. ولم يزعم أي باحث فرنسي أن التوثيق غاية قصوى للمقارنة، وأن التذوق ليس له أي مجال في عملية المقارنة[10]

من الخاطئ حكمنا مباشرة على أحد المناهج بالزوال أو وجوب تحديثه فقط لكونه منهجا قديما. لكن من جهة ثانية وخلال مناقشتنا للنهضة المقارنية العربية خاصة من حقنا التعجب من الاتجاه الشديد لمناهج لا تعبر عن أهداف سياقنا الثقافي وطبيعة سياقه. فلا ينبغي علينا الاستمرار بالمفاخرة بتطبيقات منهج المدرسة الفرنسية أمام العالم الأدبي من خلال إثبات أحدها أو الآخر إذ يعد هذا الاتجاه في وقتنا الحالي اتباعية مستهلكة وقديمة ليس بمقدورها تلبية شروط النهضة القومية العربية والتي بدورها تتطلب اتزانا في المسار المنهجي، الأمر الذي لا يوجب البحث عن علاقات التأثير بالضرورة أو التنقيب في التراث الأدبي لإيجاد صراع ومشاكل إثبات الأولويات أو حتى العزلة المبالغ فيها والتعصب القومي من ناحية ثانية. ومن هذا المنطلق بإمكاننا المقارنة بين اثنين من الآداب المختلفة شريطة وجود الاختلاف اللغوي والتشابه الموضوعي بينهما مع عدم الالتزام بوجود صلة ما بين الجانب التاريخي ومبادئ التأثر والتأثير والانتباه إلى الهدف من توضيح المحتوى الأدبي والنقدي العربي بشكل عالمي والتركيز عليه.

---

(1) ماريوس فرنسوا غويار ، الأدب المقارن ، ترجمة هنري زغيب، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٧٨ ،ص١٥

(2) Jencen Emeling M, The Influence of French literature on Europe, Richard G Badger, ١٩١٩.

(3) Cao, Shunging. The variation theory of Comparative literature, Springer, Berlin, ٢٠١٣: p١٢

(4) Ibid, P10.

(5) نجم عبد الله كاظم ، في الأدب المقارن : مقدمات للتطبيق ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠١

(6) بومدين جلالي ، النقد الأدبي المقارن في الوطن العربي ، دار الحمراء للنشر والتوزيع و الاعلام ، سيدي بلعباس ، ٢٠١٢، ص٣٠٩

(7) عبد المطلب صالح ، دراسات أدبية مقارنة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٤ ، ص ١٠- ١١

(8) عبد النبي اصطيف ، مدارس الأدب المقارن المدرسة الفرنسية ونقدها ، مجلة المعرفة ، ع٥٠١ ، ٢٠٠٥ ، ص ٨٥-٨٦

(9) الرشيد بشير بوشعير ، الدراسات الأدبية العربية المقارنة ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، ع٢، مج ٣١ ، ٢٠٠٢ ، ص ١٩٣-١٩٤.

(10) الرشيد بشير بوشعير ، المصدر السابق ، ص ١٩٤

٢. الأسس المنهجية للمدرسة الأمريكية

شكلت ثاني المراحل تالية للمدرسة الفرنسية، والتي عملت على إنهاء هيمنة المسار التاريخي، ومن خلال كتاب فان تيغم يجد مؤلفا الأدب المقارن أن تطور المدرسة الفرنسية واتساعها قد انتهى بالكتاب بالرغم من مميزاته - إلى أن يسلك في مرتبة الوثائق التاريخية[1] . والذي طور مفهوم النقد الأدبي فيما يخص السياق المقارن عبر الاهتمام بالتذوق الأدبي وعقد المقارنات والتركيز بها، وأكثر من ذلك زيادة نطاق المقارنة ما بين الأدب ومختلف الفنون الإبداعية المتاحة في كتابهما (نظرية الأدب يذكر المؤلفان: ومهما كانت الصعوبات التي تعوق فكرة التاريخ الأدبي الشامل، فإنه من الأهمية بمكان أن نأخذ الأدب على أنه مجموع متكامل، وأن نتتبع نمو الأدب وتطوره بغض النظر عن الفروق اللغوية[2]. وقد وضح رينيه ويليك عددا من الجوانب الإنسانية الواسعة ضمن المدرسة الأمريكية في قوله: "عندما نفهم طبيعة الفن والشعر، وتفوقه على الموت البشري ومصيره، وخلق عالم جديد من الخيال، سوف يختفي الغرور الوطني[3] مما لا يحمل مجالا للشك، فرضت طبيعة تطبيقات المنهجية الخاصة بالمدرسة الأمريكية ذاتها ضمن مجالات المقارنة العربية بنسبة ليست بالقليلة أبدا، لم يكن الاهتمام بالعلاقات التاريخية التأثرية هو العامل الحاسم في ذلك، بل من خلال تطبيق مبدأ النظر الداخلي للنصوص، ويتجلى ذلك فيما يلي: "الأدب المقارن حديثا يختلف تماما عن الأدب المقارن في القديم، من حيث الاهتمام الأكبر ليس بالتشابه أو الاختلاف، ولكن الاهتمام بالمدخل النقدي عبر المدارس النقدية والثقافات الملائمة لكل نص أو عمل دون الآخر[4]. ومن خلال هذا المدخل النقدي تبدو العلاقة بين الرواية والسينما، وبين الأدب وعلم الاجتماع، وبينه وبين التكنولوجيا، وبين التاريخ والرواية والمسرح والشعر . ... إلخ واعدة بالكثير من الرؤى والأفكار، وما يتصل بها من أدوات البحث والدراسة، من دون مصادرة حق استقلال كل حقل من هذه الحقول الثقافية والفنية لصالح حق ل آخر[5]. بالنسبة للجانب العربي يتضح ذلك في محاولات النقد العديدة للرائد العربي للمقارنية د. محمد غنيمي هلال، وعلى لسان أحد نقاده ما يلي: "أما النتيجة الثانية، فتتمثل في شحوب الناحية الفنية في هذا الكتاب، وذلك لأن غنيمي يركز في العلاقات التاريخية بين النصوص على حساب الناحية الفنية[6]. وبالطبع تمثل الناحية الفنية أكبر المجالات ما بين الأدب والفن بل تشمل الظاهرة الإبداعية كليا وتعبر عن نوعية رصينة جديدة بعيدا عن المدرسة الفرنسية ومسارها وذلك نتيجة لوجود نسق جديد يتطلب ذلك التحديث، ومن خلال إيلاء الأدوات التحليلية المنهجية لأهمية كبيرة ولعلني هنا أقرب إلى المدرسة الأمريكية في تأكيدها ما أسماه رينيه ويليك (كلية الظاهرة الأدبية، أي بقدرة الأدب على تخطي حواجز التاريخ وتحقيق التلاحم على أسس فنية[7]. ونلاحظ التنوع هنا من خلال وضع منهج يمكنه دراسة الصلات والموضوعات المختلفة وقد أكد أحد الباحثين ضرورة تحديد أوجه التشابه الأمر الذي يتطلب التفكير من وجهة نظر المناهج الأمريكية وليس الفرنسية، فالمقارنة تهدف في الدرجة الأولى إلى بيان أوجه التشابه دعك من مظاهر التأثير والتأثر في العملين موضوع الدراسة[8] . ويتبين لنا هنا تركيز الاهتمام على ثاني مستويات المناهج التحليلية وما هي نسبة اتجاه المقارنين العرب إلى تقليده ومشابهته وحتى اتباع مساره. وعلى الرغم من عدم كون اتباع أحد المناهج أمرا منقصا له، ولكنه يغدو تدريجيا هوية بديلة ثابتة والتي قد يجدها المقارنون المؤمنون وسيلة لتغيير ينتج عنها بدون التفكير جديا بطريقة تساعد على رسم الصورة المقارنية الخاصة بهم. وقد أدت نتائج التجديد المقارني في المنهج الأمريكي إلى إيمان عدد من المقارنين العرب بأهمية أخذ الأصل والتحديث عليه خارجيا بشكل مستمر.

أثناء تخيل المقارنية العربية وتصورها، ينبغي بقاء المقارنة بين مختلف الموضوعات في حدود مقارنة الأجناس الأدبية: الرواية ، المسرح، الشعر وما إلى ذلك. بينما عند النظر في مختلف التماثلات البقية في الأجناس الإبداعية والفنية المختلفة الأخرى، نجد أن لكل واحدة منها مسارا تقابليا خاصا بها، إذ لن نجد مقارنة ما بين الرسم الرواية مثلا نتيجة لتعيين موضوعات المقارنة وأنواعها من شأنه تمكين المقارنية العربية من التركيز على كل عنصر من عناصرها بمفرده وتحديث معطياته وتطويرها . وفيما يتعلق بانعكاسات النواتج العربية المحلية منها والعالمية على نهضة المقارنية، يمكن توضيحها عبر استعراض مختلف النواحي الإبداعية المتعلقة بصورة المساندة.

فيما يتعلق بمستوى الاختلاف اللغوي، تفيد المقارنية العربية حسب مبدأ الموازنة النقدي الغني عن التعريف، إذ يعمل هذا المبدأ النقدي على نضج النتاج العربي وإبراز الأقوى فيه، منفتحا على آداب العالم جميعها الشرقية منها والغربية دون استثناء، إلى جانب نشر المعطيات الأدبية العربية بصورة شاملة. بشرط ألا تكون العملية المقارنية العربية مشروطة بوجود التأثير والتأثر ، إذ تؤدي إلى إنتاج أدب عربي متواصل مع العالم، بينما تذكر تشابهات هذا النتاج في الفنون والآداب الأخرى كداعمات له، وليس كمجال تحليل مقابل. يمكننا القول إن منافع التوجه كامنة في عملية دفع النتاج العربي نحو نهضة أدبية فنية نقدية عموما شاملة للعالم كله، بشرط اتصال هذا التوسع في محاور النتاج وإيصاله على آفاق العالم ضمن دراسات توضيحية للارتباطات الممكنة بين المجالات، من شأن هذا دفع رواد الإبداع والنقد والفكر إلى تلمس مواطن التقارب والتواصل والتكامل الإبداعية على سبيل المثال، بين الرواية والمسرح والسينما، وبين الرسم والشعر والموسيقى، بالإضافة إلى كل ما يمكن خلقه ونشره بشكل متكامل عن طريق الإبداع[9]. بعبارة أخرى : تكمن الفائدة من هذا المنهج الخاص بالمناخ العربي في مجال الإبداع الأولي، في وعي المبدعين على اختلاف توجهاتهم لأهمية التواصل بين مسارات الإبداع جميعها، ليس فقط في مجال أو مجالين على حساب مجالات أخرى، ما من شأنه تقديم صورة متكاملة بين الفنون والآداب العربية للعالم ينسجم ذلك بشكل أصلي مع سياق النهضة الكبيرة، ويوفر فرصا وإلهاما لكثير من المبدعين.

---

(1) كلود بيشوا وأندريه روسو ، الأدب المقارن ، ترجمة أحمد عبد العزيز ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط٣ ، ٢٠٠١، ص ٢٣.

(2) رينيه ويليك وأوستن وارين ، نظرية الأدب، ترجمة عادل سلامة ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ١٩٩١

(3) Wellek, René. The crisis of comparative literature, published in: Damrocsh, David. The Princeton sourcebook in comparative literature, Princeton Univ. Press, UK. ٢٠٠٩, P١٧١.

(4) عزة هيكل ، في الأدب المقارن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص٩

(5) همام عبد اللطيف ، محمد غنيمي هلال وجهوده في الأدب المقارن والنقد الأدبي ، مجلة فصول ، ع٧٠ ، ٢٠٠٧ ، ص ٣٨٦.

(6) عبد الحميد إبراهيم، الأدب المقارن من منظور الأدب العربي : مقدمة وتطبيق ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ١٤

(7) سلوى عدنان الحصني، بنية خطاب المرأة في أعمال كوليت خوري الإبداعية في ضوء الدراسات المقارنة ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة البعث ، سوريا ، ٢٠١٠ ، ص٥

(8) علي عشري زايد ، الدراسات الأدبية المقارنة في العالم العربي ، مكتبة الشباب ، جامعة القاهرة ، ط٢ ،

(9) عبد الحميد إبراهيم ، المصدر السابق ، ص ١٤.

٣. الأسس المنهجية للمدرسة السلافية

هي المدرسة المتميزة ببعد اجتماعي كبير، وارتباط إيديولوجي بالماركسية، ومن الممكن استنباط هذه المدرسة من أولى الأدبيات الماركسية، إذ يذكر ماركس وإنجلز في البيان الشيوعي : وما يقال عن الإنتاج المادي ينطبق أيضا على الإنتاج الفكري. فثمار النشاط الفكري عند كل أمة تصبح ملكا مشتركا لجميع الأمم . ويصبح من المستحيل أكثر فأكثر على أية أمة البقاء محصورة في أفقها الضيق ومكتفية به ويتألف من مجموع الآداب القومية والمحلية أدب عالمي[1] . رغم وجود خلاف حول التسمية، إلا أن اسمها أصبح ثابتا ومتوافق عليه نسبيا[2] . وقد حاولت المدرسة السلافية إيجاد مشروع منهجي . مختلف للمقارنة بين الآداب، يعتمد هذا النهج على آلية اجتماعية تاريخية فـ فهم الظاهرة الأدبية وعوامل إنتاجها وانتقالها ما يخلق نوعا من التنافسية بين العلاقات الأدبية القائمة بين الأمم، إذ تنتج الظاهرة الأدبية عن مسألة لحظية اجتماعية تاريخية محددة لدى جماعة بشرية محددة ، وليست ناتجة عن مجرد انتقالها من أو تأثرها بأدب أمة أخرى... بعيدا عن ذلك التسلسل المضلل العنصري القائم على مبدأ المرسل الإيجابي والمتلقي السلبي[3] . يرى د. سعيد علوش أن المدرسة التي تميزت بالفعل هي المدرسة السلافية، وهي مدرسة اشتراكية لأنها حاولت أن تتميز على أساس المنظور الاجتماعي أو الجدلية الاجتماعية للتطور الاشتراكي، وهذا التميز هو منحى تجديدي بلا شك، ويفتح آفاقا مقارنية[4]. بالتالي، نلاحظ وجود خلفية كامنة وراء هذه المدرسة، تتمثل في خلفية اجتماعية، وتستمد جميع مقوماتها من التطور التاريخي الذي شهدته هذه الدول. يمكن اعتبار ذلك بحد ذاته من العناصر الصائبة في مجالات دراسات الأدب العام يتمثل الاختلاف الأساسي في نقطة الارتكاز التي ينطلق منها الأدب المقارن التقليدي المتمثلة في (الأدب القومي) وما يتلقاه ويعطيه من مؤثرات. وهذا ما لا تجاريه فيه نظرية الأدب الماركسية، فهي أقرب إلى ما يسمى (الأدب العام منه إلى الأدب المقارن التقليدي[5] . إلى جانب الطموح العالمي القائم على نشر القاعدة الفكرية الماركسية، وصولا إلى اتحاد المجتمعات في وجه اختلافات الواقع الاقتصادي ثم الواقع الأدبي العالمي ونلاحظ إشارة .. مكارم الغمري إلى أفضلية (التوازيات) النمطية فضلا عن أهمية التأثيرات الفرنسية - إذ تفترض دراسات التوازيات وجود تشابهات هامة في آداب الشعوب المختلفة عند درجات واحدة من التطور الاجتماعي. تظهر آثار هذا التشابه بصرف النظر عن وجود تأثير متبادل أو اتصال مباشر بين هذه الآداب ... ودراسات التوازيات... تساعد على معرفة السمات العامة في الظواهر الأدبية[6] والتي تعبر عن الظواهر الاجتماعية التي بإمكاننا تحديدها ورصدها والاستفادة منها بالشكل الأمثل لتحسين واقعنا المجتمعي والسير في تطوره نحو تحقيق الأهداف الماركسية. بيد أن النقد الماركسي بنظريته هو ما يهمنا أساسا الآن، والذي بدوره قدم إضافة مهمة لنظرة الأدب الإنسانية الشاملة والتي تتجاوز حدود البلد الذي خرجت منه. ودعا للنأي به عن القوقعة والتعصب القومي[7] ظهر في هذا المجال المقارن المجري جورج لوكاتش صاحب نظرية البنيوية العضوية، وفيكتور جيرومنسكي من المدرسة السلافية[8]

من ناحية أخرى، يجد باحث آخر من منظور مختلف عدم الاهتمام الناحية الاجتماعية في هذا المنهج، ويقول: ويصعب علينا أن نميز خصوصية أو فرادة فيما يدعي بالمدرسة الاشتراكية في الأدب المقارن، لأن هذه المدرسة إن جاز لنا أن نسميها كذلك قد تقترب من رؤية المدرسة الفرنسية في بعض منطلقاتها، وربما اقتربت من المدرسة الأميركية في منطلقات أخرى لها[9] . إلا أن نفس الباحث عاد ليحدد الخط العام للناحية الاجتماعية: يتقيد بدراسة الأسس الاجتماعية والاقتصادية والأمس الطبقية وتاريخ الحضارة لتجعل من ذلك كله إطارا للظاهرة الأدبية التي تدرسها) ... بيد أن الاستنتاج المهم المستقي من طبيعة هذه الرؤية للأدب المقارن هو أن مفهوم الأدب المقارن يتأثر بالضرورة بالمنطلقات الفكرية والسياسية السائدة، وهو استنتاج قد يقترب من البديهيات والمسلمات". ونطرح هنا سؤالا فيما ينسب إلى المفكر إيهاب حسن من قبل أحد الباحثين، هل يقترب من المنهج السلافي ويشبهه بشكل مباشر أو غير مباشر ؟ ويكون ذلك من خلال عدم الالتزام بمبدأ التأثر والتأثير في أحد المسارات وإنكاره، فيقول ما يلي: "إيهاب حسن لا يشترط ذلك، فالظروف المتماثلة التي تحيط بصاحبي النصين - في رأيه - هي التي تؤدي إلى ظهور بعض الملامح المشتركة في العملين الأدبيين ، ولهذا يفرق الباحث بين التأثير أو ما يسمى بالتجانس وبين التشابه في الوجدان والظروف. ومما لا شك فيه أن هذا يتبع مبادئ المنهج السلافي. والذي يعد أحد المبادئ الأساسية، وعموما يصعب الابتعاد بالعمليات الأدبية عن السياق الاجتماعي إن كان في نشوئها أو عبر تلقيها[10]

ما يمكننا استنتاجه من المنهج المذكور أنه ليس ضروريا انسجامه بفكره المعرفي والاقتصادي مع واقعنا العربي المرتبط بالدين عموما (وهي الميتافيزيقية التي ترفضها الماركسية)، وقد يعتبر غير واقعي وتعسفي محاولة البحث عن متشابهات نمطية، مع ذلك ومن ناحية ثانية فهي تزودنا بدوافع للاستمرار بالبحث عن مختلف المبادئ النمطية وخاصة التشابهات العربية منها وهو الأمر الذي يتضح تحققه من خلال وحدة اللغة والدين (عموما) والتاريخ بالشكل الذي يمكن كلا من الأدب العربي والفن من اكتشاف التشابهات والانتباه لعقد هذه الصلات بشكل واسع معتمدا على الواقع القومي الفكري المحدد والخاص والانطلاق لإيجاد أهم اختلافات الصورة العربية وكيفية تميزها عن غيرها، على الرغم من اعتبار بعض الباحثين ومن درسوا الأدب المقارن أن المدرسة السلافية عبارة عن صفحة أكل الدهر عليها وشرب عوضا عن اعتبارها تجربة مؤثرة ذات فعالية". ويمكن لبعدها المنهجي مساعدتنا على خلق واقع عربي أفضل حاويا على عدد من المتشابهات النمطية وما ينتج عنها من محاولات لبناء المقارنية العربية وترسيخها معتمدة على ما هو شائع ومعروف من العناصر الواقعية والموحدة.

---

(1) ماركس وأنجلز ، بيان الشيوعي ، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة ، ٢٠١٤ ، ص ٤٢.

(2) ن القاسم المشترك بينهم هو الأسس النظرية والمنهجية التي ينطلقون منها في دراساتهم المقارنة، وهي أسس لا علاقة لها بانتمائهم إلى العرق السلافي، ولها كل العلاقة بانتمائهم إلى الفلسفة الماركسية أي المادية الجدلية، ولهذا فإن تسمية المدرسة السلافية هي تسمية غير صائبة. عبده عبود ، المصدر السابق

(3) صلاح السروي ، المثاقفة وسؤال الهوية مساهمة في نظرية الأدب المقارن ، دار الكتبي للنشر والتوزيع ،القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١٢ ، ص ٢١

(4) فتح الدرس المقارن في أمريكا والمدرسة السلافية المقابلة الباب واسعا نحو مناهج ورؤى أخرى للنظر في العلاقات القائمة بين الآداب والثقافات القومية المختلفة، وتجاوز الطابع المسرف لأحاديثه النظر والنوازع القومية الضيقة. ضياء خضير ، ثنائيات مقارنة أبحاث ودراسات في الأدب المقارن ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٨.

(5) عبده عبود ، المصدر السابق ، ص ٢٨٣

(6) عبد النبي اصطيف، المصدر السابق ، ص ٧-٨

(7) عبده عبود ، المصدر السابق ، ص ٢٨٣

(8) عبد النبي اصطيف، المصدر السابق ، ص ٧-٨

(9) عباس العباسي، الأدب المقارن : نماذج تطبيقية عالمية عربية فارسية ، الدار العربية للموسوعات ،

(10) عباس العباسي ، المصدر السابق ، ص٢٣.

٤. الخاتمة

بالمختصر فقد سيطرت هذه المدارس الثلاث على مجال الأدب المقارن العالمي لفترة طويلة من الزمن واستمر بعضها رائدا بشكل كبير في العالم العربي كالمدرسة الفرنسية مثلا. ومن الواضح أن هذه القوة كانت نتاجا لهيمنة وقوة التماسك المنهجي الملحق بالأساس الفكري المتين من ناحية وإمكانية تطبيق هذه المناهج عموما. من ناحية أخرى، يمكننا الوصول إلى نظرة نقدية حول منهج المقارنة العربي خصوصا عبر جمع الآراء المختلفة لنقاد العالم العربي في هذا المجال، ويكون ذلك من خلال تخصيص نقد لكل مدرسة يمكن عبره طرح الاقتراحات العربية وعلى ما يبدو، تحاط المدارس التقليدية باقتراحات كثيرة فيما يتعلق بالتجديد المنهجي عالميا مما يظهر بدوره الارتباط بين كل من اتجاه تغيير المسار الأدبي المقارن لإظهار مدارس أخرى جديدة والمحاولات الجديدة في مجال السياقات الحديثة والمعاصر

المصادر

- بومدين جلالي ، النقد الأدبي المقارن في الوطن العربي، دار الحمراء للنشر و التوزيع و الاعلام ، سيدي بلعباس ، ٢٠١٢.

-حسام الخطيب ، آفاق الأدب المقارن عربية وعالمية، دار الفكر المعاصر ، ١٩٩٢.

- الرشيد بشير بوشعير ، الدراسات الأدبية العربية المقارنة ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، ع٢ ، مج ٣١ ، ٢٠٠٢.

- رينيه ويليك وأوستن وارين ، نظرية الأدب ، ترجمة عادل سلامة ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ١٩٩١.

- سلوى عدنان الحصني ، بنية خطاب المرأة في أعمال كوليت خوري الإبداعية في ضوء الدراسات المقارنة ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة البعث ، سوريا ، ٢٠١٠.

- صلاح السروي ، المثاقفة وسؤال الهوية مساهمة في نظرية الأدب المقارن ، دار الكتبي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١٢.

- ضياء خضير ، ثنائيات مقارنة أبحاث ودراسات في الأدب المقارن ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٤.

- عباس العباسي ، الأدب المقارن : نماذج تطبيقية عالمية عربية فارسية ، الدار العربية للموسوعات ، ٢٠١٢.

-عبد الحميد إبراهيم ، الأدب المقارن من منظور الأدب العربي : مقدمة وتطبيق ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٥.

- عبد المطلب صالح ، دراسات أدبية مقارنة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٤

- عبد النبي اصطيف ، مدارس الأدب المقارن : المدرسة الفرنسية ونقدها ، مجلة المعرفة ، ع ٥٠١ ، ٢٠٠٥.

-عبده عبود ، الأدب المقارن والاتجاهات النقدية الحديثة ، مجلة عالم الفكر ، مج ٢٨، ع ١ ، ١٩٩٩.

-عزة هيكل ، في الأدب المقارن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٤.

- علي عشري زايد ، الدراسات الأدبية المقارنة في العالم العربي ، مكتبة الشباب جامعة القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٩.

-كلود بيشوا وأندريه روسو ، الأدب المقارن ، ترجمة أحمد عبد العزيز ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط٣ ، ٢٠٠١.

- ماركس وأنجلز ، بيان الشيوعي ، روافد للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٤.

- ماريوس فرنسوا غويار ، الأدب المقارن ، ترجمة هنري زغيب ، منشورات عويدات بيروت ، ١٩٧٨.

- نجم عبد الله كاظم ، في الأدب المقارن : مقدمات للتطبيق ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠١.

- همام عبد اللطيف ، محمد غنيمي هلال وجهوده في الأدب المقارن والنقد الأدبي ، مجلة فصول ، ع٧٠ ، ٢٠٠٧.

References

[1] Boumedienne Jalali, Comparative Literary Criticism in the Arab World, Dar Al-Hamra for Publishing, Distribution and Information, Sidi Bel Abbas, 2012.
[2] Hossam Al-Khatib, Horizons of Comparative Literature, Arab and International, Dar Al-Fikr Al-Moasr, 1992.
[3] Al-Rasheed Bashir Boushaer, Comparative Arab Literary Studies, Alam Al-Fikr Magazine, Kuwait, p. 2, vol. 31, 2002.
[4] Rene Willick and Austin Warren, Theory of Literature, translated by Adel Salameh, Mars Publishing House, Riyadh, 1991.
[5] Salwa Adnan Al-Husni, The Structure of Women's Discourse in Colette Khoury's Creative Works in the Light of Comparative Studies, Master's Thesis, College of Arts and Human Sciences, Al-Baath University, Syria, 2010.
[6] Salah Al-Sarwi, Acculturation and the Question of Identity, a Contribution to Comparative Literature Theory, Dar Al-Kutbi for Publishing and Distribution, Cairo, 1st edition, 2012.
[7] Diaa Khudair, Comparative Binaries, Research and Studies in Comparative Literature, Arab Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, 2004.
[8] Abbas Al-Abbasi, Comparative Literature: International Arab-Persian Application Models, Arab House for Encyclopedias, 2012.
[9] Abdel-Hamid Ibrahim, Comparative Literature from the Perspective of Arabic Literature: An Introduction and Application, Dar Al-Shorouk, Cairo, 1995.
[10] Abdul Muttalib Saleh, Comparative Literary Studies, General Cultural Affairs House, Baghdad, 1994.
[11] Abd al-Nabi Astif, Schools of Comparative Literature: The French School and Its Criticism, Al-Maarefa Magazine, p. 501, 2005.
[12] Abdo Abboud, Comparative Literature and Modern Critical Trends, Alam Al-Fikr Magazine, Vol. 28, p. 1, 1999.
[13] Azza Heikal, In Comparative Literature, The Egyptian General Book Organization, Cairo, 2004.
[14] Ali Ashry Zayed, Comparative Literary Studies in the Arab World, Youth Library, Cairo University, 2nd edition, 1999.
[15] Claude Bishwa and André Rousseau, Comparative Literature, translated by Ahmed Abdel Aziz, The Anglo-Egyptian Bookshop, 3rd edition, 2001.
[16] Marx and Engels, The Communist Manifesto, Rawafed for Publishing and Distribution, Cairo, 2014.
[17] Marius François Gouillard, Comparative Literature, translated by Henri Zogheib, Aweidat Beirut Publications, 1978.
[18] Najm Abdullah Kazem, In Comparative Literature: Introductions to Application, Osama House for Publishing and Distribution, Amman, 2001.
[19] Hammam Abd al-Latif, Muhammad Ghoneimi Hilal and his efforts in comparative literature and literary criticism, Fosoul Magazine, p. 70, 2007.
[20] Cao, Shunging. The variation theory of Comparative literature, - Springer, Berlin, 2013.
[21] Jencen Emeling M, The Influence of French literature on Europe, Richard G. Badger, 1919.
[22] Wellek, René. The crisis of comparative literature, published in: Damrocsh, David. The Princeton sourcebook in comparative literature Princeton Univ. Press, UK 2009